المحاضرة الخامسة: نظرية الأفعال الكلاميّة:

لا بدّ من معرفة أنّه لا انفصال بين معرفة نظريّة الأفعال الكلاميّة وفهم أصولها والأصول الفلسفيّة التي انبثقت عنها أو نشأت في أحضانها كما سبق الإشارة إلى ذلك.

نظريّة الأفعال الكلاميّة:

يرجع الفضل إلى وضع نظرية الأفعال الكلاميّة بصيغتها الصّريحة الواضحة أوّل مرّة إلى الفيلسوف الإنجليزي جون أوستين j.AUSTIN ، من خلال محاضراته التي ألقاها في جامعة وجُمعت بعد ذلك في كتابه" How to do things with words"، " كيف ننجز الأشياء بالكلمات".

وانطلق أوستين ممّا يمكن تسميته: "المغالطة الوصفية"[1] (صحراوي، ص126)، والمتمثلة في فكرة أن وظيفة الوصف هي المهمة الوحيدة والأساسية في اللغة، وأنّ الجمل تكون ذات معنى فقط إذا احتملت الصّدق أو الكذب، أي قضايا يمكن التحقق منها أو تفنيدها" (م ن ، ص ن)، وتوصّل أوستين إلى فكرة أنّ الإنسان **حين يتكلّم لا ينتج فقط أقوالا ذات بنية نحوية وصوتية معيّنة، بل هو ينتج أفعالا مخصوصة في الواقع،** فاللغة ليست مجرّد إيصال معلومات ووصف للعالم فقط، بل **هي مؤسسة تتكفّل بتحويل الأقوال الصادرة ضمن معطيات ثقافية واجتماعية وسياقية وذهنية...إلى أفعال ذات صبغة اجتماعيّة مؤسساتيّة،** فقول المتكلّم:

[1] - كانت القضايا propositions منذ الفلسفة القديمة مقدّمات أساسيّة لدراسة المنطق، لذا اهتمّ بها الفلاسفة وعدّوا الجمل الخبرية القابلة للصّدق والكذب هي الوحيد القابلة للتحليل، وتعرّض مفهوم الجملة الخبرية في الفلسفة الحديثة للنقد (حيث كثير من الجمل لها صيغة خبريّة ولا تقبل الصّدق أو الكذب، مثل: أدعوك لقراءة هذا الكتاب)، وبعد أن اطّلع أوستين على أعمال الفلاسفة التحليليين وترجم كتاب "أسس علم الحساب" لفريجه، انتقد أعمال الوضعانيّة المنطقية (التي كانت ترى أنّ تحليل اللغة العلميّة وحدها محور التحليل ويجب التخلي تماما عن اللغة الطبيعيّة التي يشوبها التناقض والاعتباط وظواهر المجاز،...فتسيء للواقع حسبهم)، واتّبع آراء فلاسفة اللغة العادية مثل فتغنشتاين والعالم بواز وسابير." وحدّد غايته وهي ضرورة التوجّه نحو الدّراسة التحليليّة للغة العاديّة التي يتكلّمها الناس في أحوال التواصل الطبيعي...فدرس الجمل والعبارات وقام بعزل الجمل التي تبدو في ظاهرها خبريّة، لكنّها لا تحتمل الصّدق أو الكذب، وتوصّل إلى مفهوم الفعل الإنجازي، واقترح تصنيفا للأفعال الكلاميّة عدّله هو، ثمّ تلميذه سيرل، ويعدّ تصنيف سيرل حاليّا تصنيفا نموذجيّا (الصيغة النموذجيّة) التي استقرّت عليها النظريّة: ينظر مسعود صحراوي،"لحظة ميلاد التداولية"، ص124/123.

أعدك بأن أحضر غدا في هذا المكان في الساعة كذا... بهدف إعطاء وعد ونقل حقيقة للمخاطب مفادها أنّه يعطيه وعدا، فهو لا يقول شيئا صادقا أو كاذبا، بل هو يُلزم نفسه بفعل معيّن بمجرّد تلفظه بهذا القول وقول القاضي: فتحت الجلسة يكون قد أنجز فعلا اجتماعيا.

والفعل الكلامي "يعني التصرف (أو العمل) الاجتماعي أو المؤسّساتي الّذي ينجزه الإنسان بالكلام"[2]، ومن أمثلته: الأمر والنّهي والافتتاح والتهنئة والتعزية والوعد والسؤال والتعيين والإقالة ...وغيرها.

تصنيف الفعل الكلامي عند أوستين:

صنّف أوستين في مرحلةٍ أولى الأفعال المتضمّنة في القول (الأفعال الإنجازيّة)، ففرّع الفعل الكلامي الكامل إلى ثلاث أفعال متزامنة في الحدوث، فهي جوانب له، وهي فعل القول، والفعل الإنجازي، والفعل التأثيري:

فعل القول L'acte locutoire: ويعني " إطلاق الألفاظ في جمل مفيدة ذات بناء نحويّ سليم وذات دلالة"[3]، وهو يشتمل بالضرورة على أفعال لغويّة فرعيّة، وهي المستويات اللسانية المعروفة، وتتكوّن من الفعل الصوتي (إنتاج الأصوات)

والفعل التركيبي (إخضاع الأصوات لنظام نحوي معيّن)

الفعل الدلالي (ربط الأصوات بالدّلالة)، وفي هذا المستوى يمكن أن يكون القول مفهوما، مثل:

إنّها ستمطر، الدلالة واضحة لكن لاندري المقصود أهو:

_تحذير. _إخبار._أمر بحمل مظلة أو لبس معطف._...مزاح مع صديق...

الفعل المتضمّن في القول (الفعل الإنجازي) L'acte illocutoire:

وهو القيام بفعل ما ضمن قول شيء، وهو الفعل الإنجازي الحقيقي المقصود من القول، مثال: **هل من عادتي أن أفعل هذا؟** ومن أمثلته: السؤال، التأكيد، إجابة سؤال، أمر، نهي، تحذير، طلب، وعد، شهادة في المحكمة، ...ويشتمل هذا الفعل

---

[2] _مسعود صحراوي، "التداولية عند العلماء العرب"، ص10.
[3] _جون أوستين، " كيف ننجز الأشياء بالكلمات"، ص 109.(الترجمة لصحراوي).

بالإضافة إلى مايشتمل عليه الأول:الصوت والتركيب والدلالة، على أمر مهم وإضافي وهو: **القوّة، فنقول في العبارة السابقة: قوّة التحذير، قوّة الأمر،...حسب المقاصد والسياقات.**

الفعل التأثيري L'acte perlocutoire:

وهو الأثر المترتّب عن الفعل الإنجازي، أو التسبب في إنشاء آثار في المشاعر أو السلوك، أو الفكر،...مثل: الاقتناع، التضليل، الاستجابة، الاسترشاد، التثبيط، الفرح، الخيبة،...

وصنّف أوستين الأفعال الإنجازيّة إلى:

الحكميات:Verdictufs

الوعديّات:Promissifs

الأمريّات:Exercitifs

السلوكيّات:Comportatifs

التبيينات:Expositifs

إذن العنصر الأساسي في اللّغة ليس الكلمة، وإنّما العمل/ الفعل، فحين نقول:

نعم أقبل الزواج، فأنت نفّذت عملا (الزواج)، أو: **أهب سيارتي لصديقي** (وصيّة) فقد أنجزت عملا، أو: **أسمّي هذه الجمعيّة/ أو المدرسة....**فهي أعمال مؤسسية تحدث وفق شروط تتوفّر لنجاح العمل الكلامي.

شروط الملاءمة (Felicity Conditions)

صنّف أوستن شروط الملاءمة في أربعة أنواع:

(أ) شرط تمهيدي يحدد ما إذا كانت الظروف مناسبة لأداء الفعل الكلامي.

(ب) شرط تنفيذي يتحقق من تنفيذ الفعل بشكل صحيح.

(ج) شرط الإخلاص، أي صدق نية المتكلم.

(د) شرط الإتمام، أي تحقق الأثر المقصود في المستمع.

وقد رأى أوستن أن تحقق هذه الشروط يجعل الفعل الكلامي "ناجحاً" أو "سعيداً" (felicitous). أما إذا اختل أحدها، فإن الفعل يكون "فاشلاً" أو "غير ملائم".

وتبقى الشروط التمهيدية أهمها في التحليل اللغوي الحديث، إذ تُحدد السياق الذي يُعد فيه الفعل مناسباً.

6. التراكيب الإنجازية الصريحة (Explicit Performatives)

تتصف الجمل الإنجازية الصريحة بأنها تحتوي فعلاً يدل على نوع الفعل الكلامي ذاته، مثل: أعتذر، أعد، أعلن، أطلب، أبارك، أشهد، أحرّم، أجيز، أشكر.

ويجب أن يكون الفعل في صيغة المضارع، ويمكن أن يُستخدم معه الظرف "بموجب هذا" (hereby)، مثل:

"أقرّ بموجب هذا أنني مسؤول عن الخطأ."

ويُشترط أن يكون المتكلم هو الجهة المخوّلة والمسؤولة عن هذا الفعل.

وقد لاحظ أوستن أوّلا أن الجمل الإخبارية – شأنها شأن الإنجازيات – تخضع لشروط الملاءمة وثانيًا، أن التمييز بين الإخباريات والأدائيات قد يكون مستحيلًا أحيانًا، حتى مع مراعاة معايير الصدق والكذب، وخلص إلى أن الإخباريات ليست سوى فئة خاصة من الإنجازيات ، وأن التمييز الثنائي بين الإنجازيات بوصفها منجزة للأفعال، والإخباريات بوصفها حاملة للصدق، لم يعد ممكنًا الحفاظ عليه.

7. تصنيف أفعال الكلام

تُوجد طريقتان لتصنيف أفعال الكلام:

الأولى، اتبعها أوستن، تقوم على تصنيف الأفعال الإنجازية نفسها (الأفعال الدالة على القول).

والثانية، وضعها سيرل (1975)، تقوم على تصنيف الأفعال بحسب غاياتها ووظائفها، حيث واصل جون ر. سيرل، تلميذ أوستن في أكسفورد تنقيح هذا التصنيف، وأصبح بدوره من أبرز منظّري نظرية أفعال الكلام ومن النتائج المهمة لاعتماد أفعال الكلام بوصفها الوحدة الأساسية لتحليل اللغة، أن ذلك يبيّن عدم وجود تطابق بين الوظيفة (القوة الإنجازية) والشكل النحوي (نوع الجملة). فطلب كوب من الماء، مثلًا، يمكن إنجازه باستفهام (هل يمكنني أن أحصل على...؟)، أو بأمر (أعطني...)، أو بتقرير (أريد...). وهو ما قاده إلى مناقشة أفعال الكلام المباشرة وغير المباشرة.

وقسم سيرل أفعال الكلام إلى خمس فئات رئيسية:

التقريريات (Representatives): تصف الواقع وتُقاس بالصدق (مثل: أؤكد، أصرّ، أصف).

التوجيهيات (Directives): تهدف إلى جعل المخاطَب يفعل شيئاً (مثل: أطلب، آمر، أنصح).

الوعديات (Commissives): تُلزم المتكلم بفعل مستقبلي (مثل: أعد، أتعهد).

التعبيريات (Expressives): تعبّر عن موقف نفسي أو شعوري (مثل: أعتذر، أهنئ).

الإيقاعيّات (Declarations): تُحدث تغييراً في الواقع بمجرد التلفظ بها (مثل: أُعلن، أُعيّن، أُبرّئ).

وقد تبنّى معظم الباحثين هذا التصنيف لاحقاً.

نصوص (أعمال موجّهة):

"حوّل أوستين البحث الفلسفي في اللغة من وسيلة إلى غاية... وورث عن سلفيه فريجه وفتغنشتاين فكرة أنّ الفهم الجيّد للغة يحلّ مشكلات المعرفة...وكانت اللغة العادية هي الموضوع المباشر لفلسفة أوستين"(صحراوي، 2023، ص128.)

بعد أن وجد نفسه في خضمّ نزاع بين ثنائيّة: المحتوى الضيق للعبارة والمحتوى الواسع لها،(المعنى الحرفي، المعجمي، المعنى/المعنى الضمني، السياقي، معنى المعنى) أو ثنائيّة: المحتوى القضوي: وهو معنى ثابت، والمحتوى التواصلي: وهو معنى مُستلزم ومتغيّر.وهي مصطلحات متعدّدة لمفهوم واحد سواء في ل. العربيّة أم الغربيّة.

"لم يكن غرض أوستين تأسيس منهج لغوي جديد، ولكن تأسيس موضوع جديد للفلسفة، وتثبيت اللغة موضوعا للفلسفة(صحراوي، ص130.)